في الطب اليوناني قبل أبقراط

من كتاب في تاريخ الطب لجناب الدكتور شبلي افندي شميل (تابع ما قبله)

فما تقدّم يُرى ان كل شيء في هذا الدور الاوّل الذي يُنعَم الى دور التجربة الخشنة والى الدور الميثولوجي مظلم مجهول ومزوج بالخرافات وبقي الطب يتحرك في هذه الدائرة الضيقة حتى القرن السادس قبل المسيح لانحصاره بين المجربين الاوائل والكهنة. على انهُ كان لهُ بعض أهمية منذ حرب تروادة وهو الزمن الذي صارت الروايات فيهِ اصدق غير ان هيئته لم تكن الاَّ جراحية فكان منتصرًا على معالجة القروح والجروح وما شاكل. وفي تلك الايام ايام الابطال لم يكن الناس ليفتكروا بان الجراحة ستنضم الى فرع آخر من الطب هو الطب الباطن. وبمراجعة بعض فصول من اوميروس في كتابهِ الموسوم بالاِلياد وما أوحى الى بلانون كفاءة للاقتناع بان الصناعة التي كان يمارسها ولدا اسكولابيوس ماكاون وبود اليروس لم تكن الاَّ في المهد لكن ماذا جرى على الطب في كل هذا الزمان اي من القرن الحادي عشر الى القرن السادس قبل المسيح فالتاريخ لا يذكر شيئًا منهُ. على ان بلينوس يقول ان الصناعة في هذا الزمان بقيت مخفيَّة في ظلام حالك حتى حرب بلوبونيز ولا شك انهُ كان قد تحصَّل قبل هذا الزمان عددٌ غفير من المراقبات والحوادث وان العقل كان اشتغل في هذه المواد والاطباء اليونانيون قبل هيرودوتوس كانوا شهيرين ومنهم ديوسيدوس المذكور. ومع ذلك فاساس الصناعة الوحيد كان الرواية والتجربة الشخصية والمراقبات المفردة المشتتة كانت تبقى بدون اعتبار ولا فائدة فلم يكن احد يفتكر في جمعها لتعميمها وتحصيل نتائج واستنتاج قواعد ومع ان الكهنة كانوا في ظروف موافقة جدًّا لفعل ذلك لم يفعلوا

وبقي الطب هكذا منتصرًا على الصناعة فقط حتى قام الفلاسفة الطبيعيُّون فشرعوا في تقرير مبادئ تقريرًا علميًّا وهم الذين مهدوا السبيل الى ابقراط كما يرى من الوقوف على ابحاثهم في الانسان مطلقًا صحيحًا كان ام عليلاً وفي اصلهِ وتكوينهِ وتواميسهِ وقبل ان نذكر شيئًا من ذلك لا بد ان نتكلم قليلاً عن مبادئهم

قال ارسطو الفلسفة نشأت عن الحيرة فانهُ لما تعدَّدت الاكتشافات الناشئة عن البداهة او الحاجة او الصدفة شعر العقل حينئذٍ بارتباطهِ بالكون ونهض للعمل وبسط العالم امامهُ عجائبهُ فطلب للفور ان يحيط علمًا بمعنى كل شيء ونهاية كل شيء واخذ يخوض في هذا البحر العرمرم ويبث احكامهُ فيهِ بلا خوف ولا ريب كانهُ على هدًى من امرهِ وكان كل شيء لديهِ سرًّا عميقًا

وفي كل خطوة كانت تعرض له موانع على ان الشجاعة لم تفارق اصحاب العلم الاولين فلم تهن عزائمهم عن ان يسألوا عن الاشياء من طبيعتها واوّل اشتغالهم كان بكيف ولماذا فوصلوا الى ما وصلوا وظنوا انهم ادركوا هكذا اسرار الطبيعة واسبابها فاخذ العقل بالبحث والتفتيش ولم يكن الادراك يرضى بما يرضى به التصوُّر فانفصل عنهُ وافلت منهُ فنشأت التفسيرات والمذاهب اعني العلم والفلسفة وكل علم يبدأ اولاً بالعموميات ولا يستقرُّ على الخصوصيات الاَّ بعد المرور على اجيالٍ عديدة والوقوف على حوادث شتى والاستناد الى اختبارٍ طويل

فالشعراء الاولون زعموا ان الكون آتٍ من الكاوس والفلاسفة الاولون قالوا انهُ مركب من عناصر ثم صارت هذه العناصر بسائط فصفاتٍ اوليَّة وهكذا ظنوا انهم وقفوا على اصل كل شيء والعناصر المذكورة كانت عندهم اربعة وهي التراب والهواء والنار والماء وزعموا انها مبدأ الكون ثم قالوا في تفسير تكوين العالم بالجامد والسائل واليابس والرطب والحار والبارد وتكلموا كثيرًا في نسبها بعضها الى بعض وما يمكن ان يتأتى عنها الى غير ذلك مما تخضت بهِ بطون الادمغة وولدتهُ الافكار بازاء مجهول لا يقدر العقل ان يقف امامهُ صامتًا فتعددت الاقوال وتباينت الآراء وكثر التناقض حتى افضى الامر الى الخصام وجعل كلٌّ يحاول تثبيت مذهبهِ . والفلاسفة الطبيعيون كانوا يسمون في اول الامر فيسيولوجيين او طبيعيين واما لفظة فلسفة فهي احدث بالعهد . ومن البحث عن العالم الخارجي انتقل الانسان الى درس نفسهِ فكثرت الاقوال في الحياة والموت والصحة والمرض على انها كانت مختلفة في الظاهر متفقة في الباطن واكثرها موهوم . واعتبر الانسان مختصر هذا الكل العظيم فتأسست الانثروبولوجيا على نفس هذه المبادئ ودرست على نفس الطرق التي درست بها الطبيعة درسًا عامًّا . والطبيعيات او الفيسيولوجيا العامة للكون كما يفهم من معناها في الاصل اثرت جدًّا في الفيسيولوجيا البشرية التي كانت في اول الامر فرعًا منها وعلى ذلك وُجد الطب محصورًا في الفلسفة الطبيعية التي تغلَّبت عليهِ واستغرقتهُ واوشكت ان تضمهُ اليها ولم يستطع ان يتحرَّر منها حتى قام ابقراط . ولا ننكر ان انفصال الطب كان امرًا لازبًا لا بد منهُ لكن يجب الاقرار ايضًا ان الطب اخذ عن الفلسفة سيرهُ الجديد وبها حصل على مبدإٍ وطريقة وبذلك اصاب سلسوس بقولهِ ان صناعة الطب في الاصل كانت فرعًا من الفلسفة وان واضعيها هم نفس واضعي علم الطبيعة . فان فيثاغوروس بنى علم الاخلاق على علم حفظ الصحة وكان يأمر تلاميذهُ بالحمية الصارمة جدًّا قصدًا الى حفظ موازنة الجسد باعتدال وظائفهِ كافةً . وعندهُ ان الحياة الحيوانية والقوى العقلية لا يمكنها ان تعمل جيدًا ولا ان تنمو كما ينبغي ان لم تكن الموازنة المذكورة محفوظة وهذا الفكر الاساسي الحقيقي يدلُّ على معارف واسعة بينة في طبيعة الانسان وهو اساس

النبدن . فالامراض على قول فيثاغوروس لم تكن تأتي الا عن الاطعمة ونعم المبدأ فان الحياة كلها تغذية . وقد زعم بعض المؤرخين انهُ اخذ ذلك عن المصريين لانهُ اعتاد بعضهم ان ينسب كل فكر وكل مبدا عالي الى بلاد مصر زعمًا منهم ان العلم وُلد في هذه البلاد وهو وهمٌ ظاهر فالعلم لا يختص بقوم دون آخر وليس لهُ وطن محدود ولا هو نتيجة دهر معلوم بل هو ابن الزمان والاجيال على انهُ ربما كانت الصنائع تقدمت في بلاد مصر وكان يجب ان تكون كذلك لان الاهتمام بالمفيد بالضرورة يسبق البحث عن الحقيقة . وكيف كان اصل هذا الفكر فمقامهُ عالٍ جدًّا وهو اصل البحث عن الاسباب واصل علم حفظ الصحة اي اسباب المرض وشروط الصحة وهذا اقوى ما بنى عليهِ ابقراط تعليمهُ فالطب بالحمية قديم جدًّا وهو اسبق جدًّا من هيرودیكوس . فيثاغوروس كما تميز بالحكمة تميز ايضًا في صناعة الطب وكان يضع الطب الموسيقي والالهيات في مقام واحد واليهِ نسب بلينوس كتابًا في خصائص النباتات الطبية وسلسوس يقول انهُ صاحب تعليم الايام الجبرانية حيث يستخدم علم الاعداد في الطب وهذا التعليم يعترض عليهِ لكن لا يمكن نقضهُ بالكلية فان فيثاغوروس كان ذا عقل ذكي جدًّا فكان يفهم بسرعةٍ كلية ادق الاشياء واكثرها اشكالًا فزعم انهُ ربما توجد علاقة شديدة بين فصول السنة وادوار الحياة وهو اول من ميّز بين الحياة والنفس وعندهُ ان الحرارة هي مبدأ الحياة وهو اقرب المذاهب القديمة والحديثة الى الحقيقة . اما ممارستهُ فكانت تشفُّ عمَّا اثرهُ فيهِ روح الكهنة المصريين لانهُ كان قد تربى بينهم وألف عوائدهم واطلع على بعض اسرارهم فكان يخلط الحقيقة بالتقاليد وامتد هذا الروح الى مدرستهِ واشهر تلاميذهِ لم يكن يهمل الالتجاء الى السحر واستعمال بعض العبارات المقدسة والتقاليد الأخر

فيسيولوجية الموت

لحضرة الدكتور امين افندي ابي خاطر

في حفظ الانسجة بعض حيويتها بعد الموت

ان البراهين على بقاء حياة المراكز الصغيرة في الجسد بعد موت المركز الاصلي كثيرة منها انهُ بعد الموت ولا سيما الموت الفجائي تبقى ظواهر الحياة في الانسجة مدة طويلة فالحرارة لا تختفي الا ببطوء معادل لسرعة الموت والشعر ولا سيَّما شعر الراس والوجه والاظفارُ تبقى ساعات كثيرة تنمو بعدهُ والامتصاص لا يزال جاريًا والهضم عاملًا . وقد ثبت ذلك بالامتحان بان أُخِذ غرابٌ وأُطعم لحمًا ثم قُتِل ووُضع في محل تعادل حرارتهُ حرارة الغراب الطبيعية وبعد ست ساعات فتحت معدتهُ فوجد اللحم فيها مهضومًا تقريبًا تمامًا . اما امتحان ذلك في رمم البشر